هل السجون للمعالجة

او للعقاب ؟

السجون الانجليزية — مقارنة بين الامس واليوم — اخاصرات والدروس — اقلال الجرائم — وظيفة الطبيب لا السجان.

كتب احد مشاهير الكتاب الانجليز في احد الصحف ما يأتي:

ما الذي يحدث فعلا الآن داخل سجوننا اليوم. لاشك ان الناس متحيرون امام ما يسمعونه من مختلف الحكايات العجيبة عن ذلك.

وان خير طريقة يمكن للانسان ان يستخرج بها الصورة الحقيقية لحياة السجن اليوم هي ان يبحث الحالة و يدرسها بنفسه في جميع السجون او ان يسمع آراء ونظريات رؤسائها. ولقد امكنني ان افعل كل ذلك باذن خاص من وزارة الداخلية وكانت النتيجة ظاهرة شائقة.

خذ مثلا سجن (دورمور) الذي هو اكبر سجون لندن فان المرء يصعب عليه ان يتبينه الآن لما طرأ عليه من الانقلاب. ولقد كان اول ما زرته في جولتي هذه بين السجون. ولقد كان يجتمع في هذا السجن فيما سبق جميع انواع المسجونين على اختلاف ذنوبهم وجرومهم واجرامهم حسب النظام القديم. ولكني حدثت هذه المرة تغييراً كاملا فقد نقل الصنف الردىء والعائد الى سجون اخرى و بقي فقط فريق المذنبين في الاجرام ومرتكبي البسيطة منها. ولقد كانوا اثناء زيارتي الاولى يفتحون الابواب بدبة ذات اثنتين بين الحديدية و يغلقونها وراءنا كذلك. ولكن في هذه المرة ما كان الامر ليحتاج الى اكثر من ادارة اكرة بدبة الفتح والاغلاق. فقلت لهم

ان هذه لغة كبري بالمسجونين . فاجابوني بعنوان الفكرة الخفية بان المسجونين يرسمون الخطط ويتجيئون الفرص للهرب لم تعد باقية بعد بل اننا نترك هذه الابواب بدون غلاق بالمفاتيح كما نزعم انا نصدقهم . ولم يدل حتى الآن منهم ما يدل على عدم استحقاقهم هذه الثقة . ولعلم العقد حدث في سجن آخر ، حيث يغلق على المسجونين بالمفاتيح ان هرب الثالث منه .

وقال لي مدير السجن انا نجتهد في ان نري اذا كان هناك اي خير في هؤلاء الرجال قبل ان نحكم عليهم . وفي هذه الحالة نحضر الطريقة الجديدة في معاملة المسجونين

واد المدير قائلا ان هؤلاء قد زاروا مرة قبل من الممكن انقاذهم من ان يصيروا مجرمين دائمين . ام هل نعاملهم بالقسوة ونحطم نفوسهم ونقتل عواطفهم الشريفة ونرسل بهم الى الجحيم

وقال لي احد السجانين القدماء اتري هذه الاكمة العالية لقد كنت اقف عليها حاملا بندقية على كتفي مع زملائي كالنحط امام معيدة الثيران . وكنا نقوم اذا اهملنا مسجونا يتكلم مع الآخر وما كان احدنا ليرضي هذه الغرامة طبعا . وليس الكلام الآن بين المسجونين ممنوعا بكثرة . ولكن روح الحالة قد تغيرت تماما . فليس هناك شعور القسوة والاضطهاد . وان الرجل الذي لا يسيء استعمال الحرية يمكنه ان يتصرف كما يتصرف كل الشرفاء في العالم كحيوان في قفص . واذا تحدث بكلمتين متتاليتين الى آخر فانما تحامي عنه

وكان مما لاحظته حصيرة صغيرة جيدة الصنع في وسط كل حجرة من الحجرات عليها شبشب . وقال لي المدير انهم عندما يعودون من العمل تكون احذيتهم قذرة بالطين فيخلعونها وهذه تعودهم النظافة والنظافة تعلم المرء احترام النفس .

والحلاقة ايضا فقد كان المسجونون حتى عهد ليس ببعيد يقفون صفا صفا ينتظر كل منهم دوره بين ايدي حلاق السجن . ولكن في هذه المرة رأيت كل واحد منهم

يحلق ذقنه بنفسه.

بعد ذلك زرت حجرات الدراسة ... نعم حجرات الدراسة حيث تعلم اللغة الفرنسية والرسوم وتلقى المحاضرات ، وحجرة عامة يجتمع فيها ذوو السلوك الحسن كل مساء ، هذا الذى ما كان يمكن لاحد ان يصدقه . وكم كانت وحشية تلك الطريقة القديمة حيث يترك المسجون في سكون الوحدة وصمتها الدائم في حجرته . ولم يكن هذا وحشيا فقط بل سخيفاً ايضاً

والسؤال الذى يريد كل قارىء الاجابة عليه هو هل المعاملة العيفة افيد؟ وزيادة للايضاح في التعبير هل زعم ان الطريقة القديمة وحشية وليست انسانية وغير عادلة تعلم الاشرار ان الاجرام تجارة غير رابحة وتمنع الجريمة . الجواب على هذا انه في تلك الايام كانت السجون ملأى ، لكن منذ ظهر هذا التغيير في الآراء ظهر انخفاض متوال في عدد المذنبين .

ولقد انخفض مقدار بعض الجرائم الخطيرة الى النصف . وانخفضت نسبة الجرائم القتل والسرقة والنصب والاحتيال وجرائم الخمر بمقدار ٤٥ في المائة . بينما انخفضت حوادث التعدي والحيازة بغير حق الى اكثر من النصف . ونزلت عقوبة الاشغال الشاقة بدرجة كبرى في العدد .

وقد كان للنظام الخاص بادانة الافراد الذين ينقص عمرهم عن الحادية والعشرين اعظم اثر في النجاح . فلقد هبط من الف مرتكب بين كل مائة الف نفس من السكان الى مائتين بين كل مائة الف .

هذه احصائيات لا شك في صحتها ولقد ايدها ما رأيته بعيني من سجون نصفها خال في كل مكان . وان طريقة التعليم هناك مع ما يضاف اليها من زيادة في تحسين المعيشة الاجتماعية خارج السجن لا بد ان تجعل المجرم مسألة يحلها الطبيب اكثر من السجان .

عن السياسة الاسبوعية